

ثمار الصلاة...



◀ الصلاة عماد الدّين وبغيرها لا يقوم بنيانه.. ولمكانتها العظيمة وأهميتها الكبيرة كانت هذه الرسالة.. مع تقصير الكثيرين منا في أدائها وعدم فهمهم لمعناها الحقيقي وثراتها المرجوة.. أهدىها لكلٍّ مَن يصلي رجاءً أن ينتفع بها ويصلِّي صلاة كاملة الأركان مستوفية الشروط، كما أهدىها كذلك لمن ترك الصلاة أو تكاسل في أدائها، عليه يفيء إلى أمر الله؛ فيصلِّي ويجد دُصلة بحالقه. وأذكُر بها مَن يسيء صلاته فينقرها نقر الغراب لم يخش قلبه فيها؛ فلم تثمر في جوارحه طاعة، ولا في قلبه خشية، ولا في نفسه استسلاماً لمن أمر بها وفرضها .. هي رسالة من قلب محب عليها تلامس القلوب وتنتفع بها النفوس.. (وَذَكَرْ رَوْفَ إِنَّ الذَّكْرَى تَنْدُفعُ الْمُؤْمِنِينَ) (الذاريات / 55).

هذه رسالتي..

إلى كلٍّ من رضي بما ربّاً فآمن به واتبع أوامره، وبالإسلام ديناً فنهج نهجه ودعا إليه، وبسيدنا

مَحْمَدُ دَ (ص) رَسُولًا فَاتَّبَعَ هَدِيهِ وَسَارَ عَلَى سُنْتِهِ .. إِلَى مَنْ يَتَجَهُ بِوْجُوهِهِ كُلَّهُ يَوْمَ خَمْسَ مَرَّاتٍ يَكْرَمُ فِيهَا ذَلِكَ الْوَجْهَ بِالسُّجُودِ لِخَالِقِهِ وَمَوْلَاهِهِ حُبًّا وَشُوقًا .. طَاعَةً وَقُرْبًا .. إِلَى ذَلِكَ الْإِنْسَانِ الَّذِي كَرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْذَ خَلْقِهِ حِينَ أَسْجَدَ مَلَائِكَتَهُ، وَاجْتَبَاهُ عَلَى سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ فَسَخَّرَ لَهُ الْكَوْنُ كُلَّهُ، مَا فِي سَمَاوَاتِهِ وَمَا فِي أَرْضِهِ، لِيَحْقُّقَ الْأَمْرُ وَيَسْجُدَ لِرَبِّهِ سَبِّحَانَهُ وَتَعَالَى وَيَقْرُبَ..

- دعوة للوصال ..

إِنَّهَا دعوة للوصال مع من تألهه القلوب وله تخشع، وتذلل له الرقاب وتخضع، دعوة للصلة التي يدرك المصلي فيها من القرب غايتها حين يدخل محرابها ينادي فيه مولاها. قال بكر بن عبد الله مشيراً لهذا المعنى: يا بن آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن وتكلّمه بلا ترجمان دخلت، قيل: وكيف ذلك؟ قال: تسبغ وضوئك وتدخل محرابك، فإذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن فتكلّمه بغير ترجمان. وفي الصلاة تحنو الجباه لخالق الموت والحياة، فتحيا القلوب بذكره، وترفع الدرجات بفضلها، وتمحى الذنوب برحمته وسترها؛ لذا، فإنَّ مَنْ ترَكَ الصلاة فهو محروم، حُرْمَ الْقُرْبَ والسُّكِينَةُ ورَاحَةُ النَّفْسِ، وَمَنْ تهاون في أدائه أو فرط في أركانها فهو مغبون لم يذق حلاوة الخشوع فيها، وَمَنْ شغل بشيء عنها فهو خاسر لم يشعر بلذة المناجاة.

- أوَّلُ مَا يَحْاسِبُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ ..

فهي الحد الفاصل بين الإسلام والكفر، وقد قال رسول الله (ص): "بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّرْكِ وَالْكُفَرِ تَرَكَ الصَّلَاةَ" (أخرجه مسلم). وهي أوَّلُ مَا يَحْاسِبُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قال رسول الله (ص): "أوَّلُ مَا يَحْاسِبُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، إِنْ صَلَحتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ" (رواية الطبراني)، وهي العبادة الوحيدة التي فرضت علينا في السماء في رحلة معراج الرسول إلى السموات العلى، وهذا يزيد من أهميتها وتوكيدها، كما أنَّها الركن الوحيد من أركان الإسلام الذي لا يسقط بحال عن كل مسلم بالغ عاقل، فهي واجبة في الحضر والسفر، والميسر والعسر، والصحّة والمرض، وحال الأمان والخوف، والسلم وال الحرب، وهي لا تسقط إلا عن مجنون، أو صغير، أو امرأة حال حيضها ونفاسها.

- لا تنسِ .. فأنت على موعد:

نعم.. ففي كل يوم على موعد مهم، فلا تتأخر وما ينبغي لك أن تتأخر، أنت على موعد مع الله تعالى خمس مرات في اليوم والليلة؛ لتفق بين يديه في الصلاة تناجيه وتدعوه، تستغفره وترجوه، ألم ترَ أنَّ

اً عالى قد جعل لها ميقاتاً محدداً وقال: (فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَذَاباً مَوْقُوتاً) (النساء / 103). وحذّر من عدم الالتزام به فقال: (إِلَّا ذَلِكُمْ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) (الماعون / 5).. قال ابن عباس (رض): أي الذين يؤخرونها عن أوقاتها. وقال آخرون: ساهون بإصابة الوقت فلا يصلونها لموقتها، ولا يتمون رکوعها ولا سجودها، فهم ساهون إما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائمًا أو غالباً، وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به، أو ساهون عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها، فاللطف يشمل ذلك كلّه، ولكن مَنْ اتصف بشيء من ذلك فله قسط من هذه الآية، ومَنْ اتصف بجميع ذلك فقد تم له نصيبه منها وكمل له النفاق العملي، كما ثبت في الصحيحين أنّ "رسول الله (ص) قال: "تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس إذا كانت بين قرنى الشيطان قام فنقر أربعاء لا يذكر الله فيها إلا قليلاً" وهذا آخر صلاة العصر.

لكن البعض مِنْهَا للأسف قد يتأخّر فيفوته الخير الكثير، وقد يفعل ذلك جهلاً أو تكاسلاً أو سهواً، أو لأنّه يؤدّي الصلاة بطريقة روتينية بحتة، فهو يصلّي لأنّه فقط تعود على الصلاة، أو حتى لا يشعر بوخبر الضمير، أمّا الدروس الإيمانية العظيمة المأخوذة منها فليس له نصيب فيها.

فخذلوني بما عليكم كيف يليق بنا أن نتأخر عن الدعوة وقد دعانا إليها الله الملك الحق؟ أفل يليق بأهمية الدعوة وعظمتها وكثيراً الداعي جلّ جلاله أن نستعد للمثول بين يديه قبل أن يحين الوقت، وأن نلبي نداءه في الموعد ونسعد بذلك القرب؟ وفي الحديث القدسي: قال الله تعالى: "افترضت على أُمّتك خمس صلوات، وعهدت عندي عهداً لأنّه مَنْ حافظ عليهنّ لوقتهنّ" أدخلته الجنة، ومن لم يحافظ عليهنّ فلا عهد له عندي" (رواوه ابن ماجه وصححه السيوطي).

- تعلّم أحكاماها لتؤديها تامة..

ألا فلتتجه إلى الله تعالى سائلاً إيه أنت يهديك ويفقهك في دينك، وأتبع ذلك بتعلّم أحكام الصلاة، كيفيتها، شروطها وأركانها، واجباتها وسننها، مكروهاها ومبطلاتها، تعلّم كلّ ذلك على يد عالم من علمائنا أو شيخ من شيوخ مسجد بلدتك، وهم كثير والحمد لله، وذلك فرض عين عليك لا يقوم به غيرك، فإذا ما تعلمت ذلك فأتابع العلم العمل وابداً الصلاة مسبغاً لها الضوء، مكبراً ربّك معظماً له في قلبك مناجياً إيه في خشوع، قال النبي ﷺ (ص): "إذا قام أحدكم يصلّي، فإنه ينادي ربه" (البخاري)، فهل تعي ذلك كلّه أيّها المصلي؟ كما أنّ على كلّ والديّن أن يبدأ في تعليم أولادهما هذه الفريضة العظيمة منذ الصغر؛ لتكون سهلة عليهم إذا ما كبروا، ويعتادوا المحافظة والمداومة عليها، وفي

الحديث: "مروا أولادكم بالصلوة إذا بلغوا سبعاً واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرة" (رواه أحمد)، ولا أطن أرضاً نسكن في حاجة لضربهم إذا أمرنا بها واصطبرنا عليهم ثلاث سنوات متتاليات، إنّما التقصير في الغالب يكون من الوالدين في ذلك.

أسباب الخشوع:

حين تصلي انظر مع مَن تتكلّم.. وأمام مَن تقف.. ذلك أدنى أن تخشع فيها وتجاهد نفسك وتأخذ بأسباب الخشوع لتفلح، قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * إِذْ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَافِعُونَ) (المؤمنون/ 2-1)، وقد كان رسول الله (ص) يستعيذ به من قسوة القلب فيقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ" (مسلم). فcqسوة القلب تؤدي إلى عدم الخشوع الذي يجعل من المصلى سارقاً، لذلك فإنَّ النبيَّ (ص) يقول: "أَسْوَأُ النَّاسِ سُرْقَةُ الَّذِي يَسْرُقُ مِنْ صَلَاتِهِ لَا يَتَمَكَّنُ رُكُوعًا وَلَا سُجُودًا وَلَا خُشُوعًا" (رواه أحمد وصححه السيوطي). ويدعونا إلى أداء الصلاة مستوى الشروط كاملة الأركان فيقول: "إِذَا أَحْسَنَ الرَّجُلَ الصَّلَاةَ فَأَتَمَ رُكُوعَهُ وَسُجُودَهُ قَالَتِ الصَّلَاةُ: حَفْظُكَ إِنَّمَا حَفَظَنِي فَتَرَفَعُ، وَإِذَا أَسَأَ الصَّلَاةَ فَلَمْ يَتَمَكَّنْ رُكُوعًا وَسُجُودًا قَالَتِ الصَّلَاةُ: ضَيْعَكَ إِنَّمَا ضَيَّعْتَنِي، فَتَلَفَّ كَمَا يَلْفُ الثُّوبَ الْخَلْقَ، فَيُضَرِّبُ بِهَا وَجْهَهُ" (الطيبالسي، وصححه السيوطي).

وقد سُئلَ حاتم الأصم: كيف تخشع في صلاتك؟ قال: بأن أقوم وأكبر للصلوة، وأن تخيّل الكعبة أمام عيني، والمرآط تحت قدمي، والجنة عن يميني، والنار عن شمالي، وملك الموت ورائي، وأنَّ رسول الله (ص) يتأنّى صلاتي، وأطنها آخر صلاة، فأكبر بتعظيم، وأقرأ بتدبر، وأركع بخضوع، وأسجد بخشوع، وأجعل صلاتي للخوف من الله والرجاء لرحمته، ثمَّ أسلِّم ولا أدرى هل قبلت أم لا.

إياك والنوم عن صلاة الفجر..

ذلك لأنَّ رسول الله (ص) يقول: "إِنَّمَا أَثْقَلَ صَلَاةَ الْمَنَافِقِينَ صَلَاةَ الْعَشَاءِ وَصَلَاةَ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأْتُوهُمَا وَلَوْ حَبِّواً، وَلَقَدْ هَمَتْ أَنْ آمِرَ بِالصَّلَاةِ فَتَقَامَ ثُمَّ أَمْرَ رَجُلًا فَيَصْلِي بِالنَّاسِ ثُمَّ، أَنْطَلَقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعْهُمْ حَزْمًا مِنْ حَطَبٍ، إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهُدُونَ الصَّلَاةَ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بَيْوَتَهُمْ بِالنَّارِ" (مسلم). وقال: "لَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصَّبَاحِ لَأْتُوهُمَا وَلَوْ حَبِّواً" (متفق عليه). وقال: "يَتَعَاَقِبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةُ اللَّيلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ، وَيَحْتَمِلُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَالْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْجِزُ إِلَيْهِ الَّذِينَ يَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ، فَيَقُولُونَ: كَيْفَ تَرْكُتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ يَصْلُونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ يَصْلُونَ" (البخاري)؛ لذلك فإنَّ مَنْ نَامَ عن صلاة الفجر فاته الخير الكثير، وفاته بشاره النبيَّ (ص): "مَنْ صَلَى الْبَرَدِينَ دَخَلَ

الجنة" (مسلم).

- حتى تؤتي صلاتك أُكلها ..

- إذا سمعت المؤذن، وعلمت بدخول وقت الصلاة؛ فسارع إلى أدائها ولا يشغلك شيء عنها، ففي الحديث الشريف: "مَنْ حَفِظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا" وبرهاناً ونجاة يوم القيمة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيمة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف" (أحمد)، ولذلك قال ابن القيم: تارك المحافظة على الصلاة، إما أن يشغله ماله أو ملكه أو رياسته أو تجارته. فمَنْ شغله عنها ماله فهو مع قارون، ومَنْ شغله عنها فهو مع فرعون، ومَنْ شغله عنها رياسته وزارته فهو مع هامان، ومَنْ شغله عنها تجارته فهو مع أبي بن خلف.

- أسبغ الوضوء للصلاة واحرص على استخدام السواك قبلها، قال رسول الله (ص): "السواك مطهرة للفم، مرضاه للرب" (النسائي)، ول يكن قلبك معلقاً بالمسجد، فإن النبي (ص) يقول: "مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِه ثُمَّ مَضَى إِلَى بَيْتٍ مِّنْ بَيْوَاتٍ لِيَقْضِي فَرِيضَةَ مِنْ فَرَائِصِ اللَّهِ؛ كَانَتْ خَطُواتُهُ إِحْدَاهَا تَحْطُّ خَطِيئَةً وَالْآخِرَةُ تَرْفَعُ دَرْجَةً" (مسلم).

ويقول: "مَنْ غَدَ إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعْدَّ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نَزْلًا كُلُّمَا غَدَ أَوْ رَاحَ" (متفق عليه)، ويقول: "صلوة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبعين وعشرين درجة" (متفق عليه).

ولتكن نوافل الصلوات نصيب بيتك من البركة في الحديث: "إذا صلي أحدكم الصلاة في مسجده، فليجعل لبيته نصيباً من صلاته، فإن الله عز وجل جاعل في بيته من صلاته خيراً" (مسلم). واحذر مراءة الناس حين تصلي؛ فتزين صلاتك لأجلهم، واعلم أن نيتك في الصلاة والإخلاص فيها سر بينك وبين الله تعالى، فعطمه حق التعظيم، ولا تجعله أهون الناظرين إليك، فاستعن به وكن يقطعاً حذراً من الشيطان، وتعود ذ من شره ووسوسته، وأقبل على الله بقلبك وجسدك وجوارحك، ولا تلتفت في كل ذلك إلى نفسك ففي الحديث: "لا يزال الله مقبلاً على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت انصرف عنه" (أحمد)، ولا تدخل في الصلاة وأنت تدافع الأخبين (البول والغائط)، ولا بحضره الطعام حتى لا ينصرف همك في قضاء حاجتك وتفقد الاطمئنان فيها فتبطلها، قال رسول الله (ص): "لا صلاة بحضور طعام، ولا هو يدافعه الأخبان" (مسلم).

وبعد أن تؤدي صلاتك، احرص على أن تتخلق بأخلاق المسلمين المقبولين الذين تنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر، روى البزار عن ابن عباس أن النبي (ص) قال: "قال الله عز وجل: إنما أقبل

الصلوة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل بها على خلقي، ولم يبت مصراً على معصيتي، وقطع النهار في ذكري، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة، ورحم المصايب، ذلك نوره كنور الشمس، أكلؤه بعزتي، واستحفظه ملائكتي، أجعل له في الظلمة نوراً وفي الجحالة حلماً، ومثله في خلقي كمثل الفردوس في

► الجنّة".